وِلادةُ عصْرٍ جَديدٍ

قضى التّاريخ على هذا القرن العشـرين، أن يكون مرحلة وسطى يتحوّل فيها النّاس من حضارة كانت قد استقرّت على قوائمها، إلى حضارة أخرى، تريد بدورها أن تسـتقرّ على قوائم، أو – إن شـئت مزيدا من دقّة التّعبير – قل إنّهما رؤيتان مختلفتان في حضارة واحدة، إحداهما شهدت ذروتها في أوروبّا خلال القرن الماضي، ويرجـى للأخرى أن تتمّ ولادتهـا في القرن الآتي (الحادي والعشـرين) وأمّا هذا القـرن الّـذي نحن فيه، فهو همزة وصل بين الحالتين فإذا كان له حسـنة تذكر، فهي أنّه هو الّذي احتمل آلام المخاض تمهيدا لقدوم وليد جديد.

كان القرن الماضي هو الّذي بذر البذور، وسيكون القرن الآتي هو الّذي يحصد الثّمـار، وأمّا المرحلة الوسـطى، الّتي هي الشّـجرة في نمائهـا وعنائها، فقد كانت نصيبنـا نحن – أبناء القرن العشـرين – ففي القرن الماضـي ظهرت طائفة من الأفكار العظيمة، الّتي سوف تكون بذورا وجذورا للحياة الجديدة، فلا يَكاد عصرنا الحالي يضيف من عنده إلى تلك الأفكار الكبرى فكرة واحدة، ولِذلك فقد انحصرت مهمّته في الفهم والهضم والشّرح والتّحليل...

فانفتـح الطّريق أمام فكـرة جديدة للكون، هي الرّؤيا الّتـي تبلورت في نظريّة النّسـبيّة الّتي قدّمها إينشْـتينْ، فنتـج عن هذا كلّه ما نتـج ممّا نعيش الآن في مناخـه وتحت سـمائه... وكان لا بدّ أن تحدث تحوّلات في رؤية الإنسـان. وفي طرائق عيشـه، ولو كانت تلك التّحوّلات مقصورة على مسـتوى العلماء وحدهم يتناقشـون ويتجادلـون لذهبت الموجة في غفلة من جمهـور النّاس، لكنّها كانت تحـوّلات تناولت صميم الحياة العمليّة، ممّا اسـتتبع حتما أن يتغيّر شـيء من القيـم والعـرف وبالتّالي لم يكن بدّ من حروب وثورات ليتحقّق الشّـمول على أرض الواقـع... فالتّحوّلات سـريعة وجارفة والأفكار متقلّبـة متغيّرة بعد أن كان العالـم طوال العصور ثابتا على رأي معيّن محـدّد في التّعليم، خلاصته أنّ هناك مادّة علميّة موجودة بين أيدينا وعلينا أن نصبّها في رؤوس الدّارسين، فجاء عصرنا هذا – عصر التّحوّلات – ليسأل: وأين تذهب بشخصيّة الدّارس نفسه؟... لماذا لا تكون تنمية هذه الشّخصيّة هي الأساس الّذي تتكيّف له مقرّرات التّعليم؟...

ولعلّ بحث الإنسان في عصرنا هذا، عن شيء يجعل للإنسان معنى، حتّى لا

يراها عبثا من العبث، هو الّذي أحدث التّعدّد في الآراء حول تقويم الأشياء والمواقف فأصبح مـا هو مقبول عند هذا مرفوض عند ذاك، ولم يكن مثل هذا البحث عن معنـى للحيـاة، أو قل عن هدف واضح لها، أمـرا واردا في عصور كبيرة مضت، لأنّ ظروف العيش فيها لم تكن تستدعي سؤالا كهذا، كما تستدعيه ظروف العيش في عصرنـا... علـى أنّ هذا كلّه مدعـاة للتّفاؤل، لأنّه هو نفسـه الإرهاصات الّتي تسبق ولادة عصر جديد.

30

زكي نجيب محمود، أفكارٌ ومَواقف، ط. 1،
دار الشّروق، بيروت 1983، ص ص 89 - 95

زكي نجيب محمود (1905-1993)، مفكّر وفيلَسوف مصريّ حصَل على الدّكتوراه في الفلسفة من لندن سنة 1947 بعنوان «الجبر الذّاتيّ». بعد عودته إلى مصر التحق بهيئة التّدريس في قسم الفلسفة بكلّية الآداب جامعة القاهرة، وظلّ بها حتّى أحيل على التّقاعد. قدّم سيرته الذّاتيّة في ثلاثة كتب هي: «قصّة نفس،» و«قصّة عقل،» وحصاد السّنين» الذي أصدره سنة 1991 وهو آخر كتبه.

محاور الاهتمام:

- الخصائص الفكريّة للإنسان الجديد.
- ارتباط شواغل الإنسان بتحوّلات العصر.